## ٦ أبطال الرواية

كان ثلاثة يحكمون مصر عندما قامت الحرب فى أوربا فى سبتمبر ١٩٣٩ .

الملك فاروق يجلس على العرش .

وعلى ماهر يتولى رئاسة الوزارة .

والسير مايلز لامبسون هو سفير صاحب الجلالة ملك بريطانيا . . فى مصر .

الملك يعتقد أن ألمانيا ستنتصر فى الحرب . . وأمه الملكة نازلى تؤمن أن النصر سيكون للإنجليز لا للألمان .

عندما سقطت مدينة البردية آخر المدن الليبية على حدود مصر - فى يد الإنجليز . . سجل أحد رجال بوليس القصر الملكى - وهو من أصدقاء الملكة نازلى المقربين ! مكالمة تليفونية بين الملكة نازلى ومراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية .

وسلم صديق الملكة نص التسجيل إلى السفير البريطانى الذى بعث به فورا إلى أنتونى إيدن وزير الخارجية .

قالت الملكة نازلى :

هل ترى كيف ينتصر الإنجليز فى الحرب . ألم أقل لكم إنهم سينتصرون . إنى كنت واثقة من ذلك . ولكن فاروق - لسوء الحظ - لا يثق بى .

قلت له اترك نسبة ولو ١٠٪ فقط لانتصار الإنجليز ولا تظهر عداءك لهم . . ولكنه لا يستمع لى .

إنى لا أفهم هذا الولد . إنه عنيد . . يستمع – فقط – لسائق سيارته وللإيطاليين من حوله .

أجاب مراد محسن :

إنه لا يزال صغيراً !

* * *

. . وكانت معرفة الإنجليز بهذه الخلافات عاملا ساعدهم على التفرقة بين صاحبة الجلالة الملكة الأم . . وابنها الجالس على العرش . . وقد نجح الإنجليز فى هذا الشأن ، بالإضافة إلى أسباب أخرى ، إلى التفرقة نهائياً بين الملك وأمه !

والإنجليز يعرفون أن فاروقا يتصل بالألمان .

عندما توغلت قوات الألمان داخل الأراضى المصرية . . بعث السير مايلز لامبسون بهذه البرقية إلى وزارة الخارجية فى لندن :

الخارجية فى لندن .

برقية رقم ٢٠٩٨

بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٤٢

هام

سرى .

١ – وصلت إلىّ معلومات سرية ليلة أمس من قائد الأسطول أن غواصة للعدو اقتربت ليلة ٢٥ أغسطس من الساحل عند قصر المنتزه فى الإسكندرية ، وأن الملك ( فاروق ) يحتمل أن يكون قد هرب .

٢ – استطعت بتحقيق محلى سريع أن أعرف أن الملك ( فاروق ) كان فى القاهرة منذ ليلة ٢٥ أغسطس ، وأن هذا الجانب من الرواية بالذات لا أساس له من الصحة .

٣ – ومع ذلك فإن الشكوك لا تزال قائمة فى أنه حدث اتصال ، وأن هذه لم تكن المرة الأولى .

٤ – قبل أن أستطيع التأكد من القائد العام فى البحر المتوسط عما إذا كنت أستطيع استخدام معلوماته . تلقيت صباح اليوم خطاباً من القائد العام يبلغنى فيه أن ثمة اشتباها فى أنه حدث اتصال مع الشاطئ داخل القصر ، وأنه شوهدت أضواء ساطعة تصدر عن القصر فى

اتجاه البحر فى وقت متأخر من الليل .

وسأل القائد العام عما إذا كنت أستطيع أن أجد وسيلة يمكن بها أن نقوم بدوريات فى القصر .

٥ – بناء على هذا استدعيت حسنين – أى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى – هذا الصباح ، وأبلغته بالتفاصيل الكاملة لخطاب القائد العام ، وأكدت خطورة هذه الحقائق التى تم كشفها كما أكدت الأهمية العاجلة لإيضاح الأمر .

وأضفت قائلا :

– إن هذه ليست المرة الأولى التى تثور فيها شكوك مماثلة . ومن الأفضل لمصلحة جلالته أن يسمح فوراً بقيام دوريات على شواطئ القصر .

٦ – أعلن حسنين أنه مقتنع بأن شكوكنا عن حدوث اتصال مع الشاطئ لا أساس لها من الصحة . ومع ذلك فإنه سيتحقق من الأمر على الفور .

وفيما يتعلق بالزعم الخاص بصدور أنوار ساطعة فى اتجاه البحر من نوافذ القصر ، فإن هذا قد يكون صحيحاً ، لأن الملك فاروق والملكة فريدة كانا يقيمان حفلا فى وقت متأخر فى إحدى الليالى .

وعلقت على ذلك بأنه يعد أقصى درجات الحماقة التى تستوجب اللوم العنيف السماح بمثل هذا الانتهاك لحالة الإظلام .

وقالت الوثائق التى ضبطت بعد الحرب . . وقالت مذكرات شيانو وزير خارجية إيطاليا فى أثناء الحرب : إن السفير المصرى فى طهران – يوسف باشا ذو الفقار والد الملكة فريدة – أجرى اتصالات مع السفير الإيطالى فى طهران لمعرفة موقف إيطاليا إذا أصرت مصر على الحياد . وقال شيانو أن الوزير المصرى المفوض فى برلين اجتمع بالسفير الإيطالى ليبدى الود لإيطاليا . . من وراء ظهر إنجلترا . . دون علمها . . وقد عرف جانب من هذا كله . . فى حينه . . مما جعل الإنجليز يؤمنون بأن فاروقاً وعلى ماهر . . فى الجانب الآخر أى مع الألمان والإيطاليين .

* * *

وفى مذكرات الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين السابق قال إنه التقى عقب حملة روميل بالهرفون روبنتروب وزير خارجية ألمانيا فى برلين الذى قال له :

– إن هناك أمراً مهماً وسراً مكتوماً نرجو أن نقف على رأيكم فيه وفى كيفية تنفيذه ، وهو أن بيننا وبين الملك فاروق صلات وثيقة ، وقد كتب إلينا أنه مستعد للقيام بمغامرة خطيرة ،

وهى أن يخرج من القاهرة إلى الصحراء الغربية حين يقترب الجيش الألمانى من مصر ، وأن يتعاون معنا ، وهو يطلب منا أن نضع له الخطة ونعين موعد التنفيذ .

وسألنى روبنتروب عما إذا كان لدينا شخص معتمد لحمل الرسالة وإيصالها إلى فاروق وقال :

– إن التفاهم مع الملك فاروق على خطة خروجه واستقباله ميسور ، وليكن الموعد بواسطة الإذاعة الألمانية بعبارات رمزية يتم الاتفاق عليها .

وعلى هذا تم الاتفاق مع روبنتروب ووقع اختيارى على الدكتور مصطفى الوكيل لحمل الرسالة . . وقد سافر إلى إستانبول وسلمها إلى صديقه القنصل العام السيد أمين زكى الذى سافر من فوره إلى القاهرة ، وسلمها يداً بيد إلى الملك فاروق .

أما الموعد فقد تم الاتفاق على أن يحدد برسالة رمزية تذاع من الإذاعة الألمانية ثلاث مرات ، بين كل إذاعة وأخرى فترة من الزمن .

وكانت الأولى لإعلام الملك فاروق أن الوقت قد أزف .

والثانية لإعلامه بوجوب الاستعداد للخروج من القاهرة .

والمرة الثالثة كانت لتحديد موعد خروجه بطائرة خاصة . .

* * *

والأدلة على أن هوى فاروق وعواطفه مع ألمانيا وإيطاليا كثيرة :

اجتمع برت فيش الوزير الأمريكى المفوض فى مصر مع الوزير التركى المفوض ، وتبادلا الحديث فى موضوعات الحرب وتطوراتها .

ولم تكن الولايات المتحدة قد اشتركت فى الحرب بعد ، وبالتالى لم تكن قد اتخذت موقفاً حاسماً منها .

قال الوزير التركى :

– ليس من الصعوبة أن نفهم لماذا يحس ملك مصر بمشاعر قوية ضد بريطانيا برغم أنها حليفة لمصر .

وأضاف :

– إن والد فاروق ، الملك أحمد فؤاد ، تعاطف مع الإيطاليين .

ومنذ شباب فاروق فعل الإيطاليون كل ما فى وسعهم لإرضائه .

منحوه وساماً رفيعاً فى شبابه مما أرضى غروره إلى أقصى حد .

أما تجربة فاروق مع البريطانيين فمختلفة تماماً .

إنهم يضغطون عليه ليبى بهذا الطلب أو ذاك .

والملك يمكن أن يقبل الاقتراح والنصح إذا وجه إليه بالطريقة الصحيحة .

ولكن المشكلة . . أن السفير البريطانى يحاول دائماً أن يملى على الملك لا أن ينصحه . . وبذلك فشل فى الحصول على تعاونه فى حين كان يمكن أن ينجح شخص آخر .

وقال الوزير الإيطالى وهو يهمس فى أذن روبرت فيش :

– سأخبرك بشىء أبلغنى به الملك ، وأعتقد أنه غير معروف إلا لرجلين ، ولم يذكر الوزير التركى اسمى الرجلين ، ولكنه ترك الانطباع بأنهما على ماهر باشا رئيس الوزراء ، وماتزولينى وزير إيطاليا المفوض فى مصر .

وأضاف الوزير التركى :

– قال لى الملك : إنه تكلم مع الوزير الإيطالى قبل مغادرته للقاهرة بعد قطع العلاقات بين مصر وإيطاليا حول الموقف بين البلدين ، وبعد الحديث أعطى الملك وزير إيطاليا مذكرة – بغير توقيع – تحدد بالضبط ما يستطيع عمله بالنسبة لإيطاليا . . وما لا يستطيع عمله .

وقال فاروق : إن السبب الوحيد الذى يجبره على دخول حرب ضد إيطاليا هو أن يقوم الإيطاليون بقصف القاهرة بالقنابل . . . أما فيما عدا ذلك . . أى دخول الإيطاليين الأراضى المصرية فإن هذا لن يجعل (فاروق) يعلن قرار الحرب .

ولا يكتفى الوزير التركى بذلك بل يقول : إن مشاعر الملك المناهضة للبريطانيين مصدر قلق للرئيس التركى عصمت إينونو الذى طلب من وزيره فى مصر أن يزين للملك فاروق التعاون مع البريطانيين ، لأن تركيا تعتبرهم حلفاء وأصدقاء .

وكان فاروق يعتقد أنه يتحدث إلى صديق ، أو إلى رجل من بلده ، باعتبار أن فاروقاً من أصول تركية ، فإذا بالوزير التركى ينقل الحديث للوزير الأمريكى . . .

وعندما تدخل الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا وإيطاليا يكون هذا كله عاملاً من العوامل التى جعلت أمريكا بعد بريطانيا ترى أن فاروقاً ليس مخلصاً فى التعاون مع الحلفاء ضد المحور . . أى ضد ألمانيا وإيطاليا .

* * *

ونعود إلى أبطال الرواية فى مصر فى سبتمبر ١٩٣٩ .

على ماهر رئيس الوزراء سبق للسفير التعاون معه .

ولكن كل ما يخشاه السفير عبر عنه فى هذه البرقية لحكومته .

قال :

« التقارير الأخيرة تبين أنه حتى على ماهر بدأ يفقد القلة الباقية من نفوذه على فاروق . . ولا يستطيع وقفه عند حده . . وهذه مشكلة ضخمة » .

* * *

وحول فاروق وعلى ماهر ومايلز لامبسون توجد أسماء أخرى كثيرة ومتعددة وضعتها الظروف فى مناصب حساسة أو مؤثرة قرب هؤلاء الثلاثة .

حول الملك نجد أحمد حسنين الأمين الأول ، وعبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكى وهو من رجال على ماهر ، وإسماعيل تيمور كبير الأمناء . . من المصريين .

وحول الملك نجد أيضا مجموعة من الإيطاليين .. بوللى الكهربائى . . وجارو الحلاق . . وبترو مساعد الحلاق . . وكانوتشى مدرب الكلاب . . وهناك إيطاليون آخرون ميلانيزى رئيس فرقة موسيقى القصر وفيروتشى كبير المهندسين .

ويخطئ من يعتقد أن مناصب هؤلاء – وبالذات بوللى وجارو وبترو وكانوتشى – تافهة يجب ألا تذكر فى كتاب عن تاريخ مصر . إن هؤلاء كانوا موضع عشرات من البرقيات بين السفارة البريطانية ووزراء الخارجية فى لندن . . وجرت بشأن هؤلاء اجتماعات عديدة اشترك فيها فى وقت من الأوقات السفير البريطانى وأربعة من رؤساء الوزارة فى مصر . . فإن إنجلترا كانت تؤمن بأن تأثير هؤلاء الإيطاليين على الملك فاروق كبير لدرجة مدهشة ، وأنهم من العوامل التى جعلت فاروقاً يتعاطف مع إيطاليا ضد الإنجليز .

* * *

ولم يكن فاروق وعلى ماهر ولامبسون هم وحدهم أبطال الرواية التى تمثل على المسرح السياسى المصرى فى تلك الأيام من عام ١٩٣٩ .

. . حول السفير البريطانى يوجد مستر بيمان الوزير المفوض . ثم خلفه بعد ذلك فى منصبه مستر شون .

وهناك والتر سمارت السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية الذى رقى بعد ذلك مستشاراً شرقياً للسفارة .

وسمارت تولى منصبه فى مصر عام ١٩٢٦ . . يتكلم العربية بطلاقة عجيبة . . . ويعرف الهيروغليفية . . ومتزوج من ابنة فارس نمر باشا صاحب جريدة المقطم الناطقة باسم الاحتلال البريطانى فى مصر برغم أنها تصدر بالعربية .

وسمارت بقى فى منصبه فى القاهرة ٢٢ سنة . . أطول من أى دبلوماسى بريطانى آخر عاش

فى السفارة البريطانية باستثناء اللورد كرومر الشهير !

* * *

وكان ينبغى أن أتوقف عند كل هذه الأسماء . . فكثرة الشخصيات ترهق عقل القارئ الذى يريد أحداثاً سريعة متتابعة فيها إثارة . . ولكن لابد مما ليس منه بد كما يقول المثل القديم . . لابد من أن نذكر أن رئيس مجلس النواب - أحمد ماهر - هو شقيق رئيس الوزراء على ماهر . . وأحمد ماهر متحمس للدفاع عن إنجلترا . . يطالب بدخول مصر الحرب إلى جانبها - أى إلى جانب إنجلترا - وعندما أصر على تحقيق ذلك عام ٤٥ بعد أن انتهت الحرب فى أوربا دفع - أحمد ماهر - حياته ثمناً لذلك فقتل داخل البرلمان . . وكانت هذه أول جريمة سياسية هزت مصر بعد الحرب .

ولكن لاداعى لأن نسبق الحوادث .

إن بين الأسماء أيضاً محمد محمود خليل باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وهو من رجال القصر ، متزوج من سيدة فرنسية اعتاد أن يقضى نصف السنة فى فرنسا ونصفها الآخر فى مصر ، حصل من فرنسا على الوسام الأكبر من اللجيون دونير . . أى وسام الشرف الفرنسى . . وفى نفس الوقت له ميول إيطالية . وكان رئيساً وعضواً فى مجالس إدارات عدة شركات أجنبية بلغ عددها عام ٤٧ خمساً وعشرين شركة .

ولا يجب أن ننسى نجماً آخر دوره ثانوى . ولكنه كان ملكاً جاهزاً . . مستعداً لتولى العرش فى أى وقت ، ومستعد لتحقيق كل رغبات الإنجليز إذا وضعوه على العرش ، أعنى الأمير محمد على ولى العهد .

. . فى سرادق العزاء الذى أقيم يوم وفاة الملك أحمد فؤاد . . اقترب الأمير محمد على من لامبسون - قبل أن يتم دفن الجثمان - ليقول له إنه يجب أن يكون وحده الوصى على عرش مصر .

ولم يخذله السفير . . ولم يؤيده . . ولكنه لم يصده .

وبعد قيام الحرب . . أقام الأمير حفلا لإظهار ولائه للإنجليز . . حضره فاروق وبيعت الكتب بالمزاد لصالح الحلفاء . . فاشترى فاروق كمية من هذه الكتب تملقاً للإنجليز !

وعندما زار أنتونى إيدن - وكان وزيراً للحربية - القاهرة ليكون فى استقبال أول دفعة من الجنود النيوزيلنديين والأسترالين - تصل إلى مصر - اجتمع بالأمير محمد على وسمعه يقول له :

- إن المصريين يحتاجون إلى الحزم . . وإلا أفلت الموقف من أيديكم .

وأخذ محمد على يعدد لإيدن تصرفات فاروق الغريبة . . وقال :

– إن على ماهر رجل لا يوثق به . . وإن أخاه – أحمد ماهر يردد ذلك أيضاً .

ويكتفى إيدن بالاستماع والصمت . . ويشكر الأمير على تأييده . . وهدایاه السخية للصليب الأحمر البريطانى .

. . وأجد هذا الحديث مسجلا ، على الورق فى الأرشيف الحكومى البريطانى . . ولقد حرصت على أن أقدمه حتى تكتمل صورة المسئولين الأساسيين . . والمسئولين الثانويين فى الصراع الذى دار حول مصر . . وكانت الحرب من مقدمات هذا الصراع أو سببه الرئيسى . .

ويكتب بيرت فيش إلى وشنطن يصف العلاقة بين على ماهر والسفير البريطانى .

قال فيش عن برقيته يوم ٢٦ أغسطس . . أى بعد ٨ أيام من تولى على ماهر رئاسة الوزارة :

برقية رقم ١٧٨٤

من بيرت فيش

القائم بأعمال المفوضية الأمريكية بالقاهرة

إلى وزير الخارجية فى وشنطن

بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٣٩

أخبرنى مصدر موثوق بأن رئيس الوزراء لم يتشاور مع الوزير البريطانى القائم بأعمال السفارة البريطانية فى أثناء إجازة السير مايلز لامبسون حول اختيار الوزارة المصرية الجديدة .

وأبلغنى مصدر موثوق أن رئيس الوزراء ينوى أن يطلب ويقبل النصيحة من السفارة البريطانية عندما يحس فقط بأنها عادلة وملائمة .

وباستثناء الموقف الدولى ، فإنه ينوى أن يقوم بمهام منصبه مستقلا عن مقترحات ونصيحة البريطانيين .

إلا أننى خلال السنوات الست تقريباً التى قضيتها فى مصر ، تعلمت أنه برغم شعور رئيس الوزراء الجديد بالاستقلال عن بريطانيا العظمى ، فلن يمضى وقت طويل قبل إقامة علاقات أفضل ، والخضوع لرغبات بريطانيا العظمى بوجه عام فى المسائل الأكثر أهمية .

فى ١٩٣٤ ، عندما كان السير مايلز لامبسون مندوباً ساميًّا ، رضى البريطانيون بوزارة ترأسها عبد الفتاح يحيى باشا .

وبعد مضى بعض الوقت أصبح نسيم باشا رئيساً للوزراء ، واغتبط البريطانيون منه . وبعدها تولى على ماهر باشا ، لكن لفترة قصيرة من الوقت .

ثم جاء الوفديون إلى السلطة ، وكانت السفارة البريطانية ساخطة لرؤيتهم يرحلون عندما تولى محمد محمود .

لكن لم يمض وقت طويل حتى كان البريطانيون ومحمد محمود يعملون فى توافق وثيق .

وفى برقيتى بتاريخ ١٩ أبريل ١٩٣٩ ، أشرت إلى اعتقاد السير مايلز لامبسون بأن على ماهر باشا ، حاول ، عندما كان فى لندن لحضور مؤتمر لندن حول فلسطين فى وقت مبكر من هذا العام ، نقل السير مايلز لامبسون السفير البريطانى ، من مصر .

ولكن على ماهر باشا ينكر أنه قام بأية محاولات من هذا النوع .

والملك وعلى ماهر باشا الآن على وفاق تام .

والملك ليس مسروراً من السير مايلز ، وإذا لم يكن ذلك بسبب الموقف الدولى الحرج لكانت الوزارة الحالية قد صارت ، على الأقل فى الوقت الحاضر مصدراً لبعض الإزعاج للبريطانيين .

وطالما استمر التوتر الدولى فمن المحتمل ألا تحدث صعوبات .

وإذا دام هذا التوتر لبعض الوقت فسوف يأتى سريعاً هذا التعاون الودى فضلا عن العكس .

لكن ، وفى هذا الوقت ، فمن المؤكد أن فى ذهن رئيس الوزراء أن يسيِّر مصر بصورة مستقلة ، ماخاً بريطانيا العظمى ما يشعر فقط بأنه من حقها ولا شىء أكثر من ذلك . . أبداً . . !